المجلة العلمية
لكلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية

https://esalexu.journals.ekb.eg
دورية علمية محكمة
المجلد الثامن (العدد السادس عشر، يوليو 2023)

التطور المنهجي لمفهوم القوة في العلاقات الدولية: دراسة مسحية في الأدبيات المعاصرة [1]

د. عادل عنتر على زعلوك
مدرس العلوم السياسية
كلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية
جامعة الإسكندرية
adel.antar@alexu.edu.eg

[1] تم تقديم البحث في 2021/9/8، وتم قبوله للنشر في 2022/1/22.

ملخص

استهدفت هذه الدراسة الكشف عن حقيقة مفهوم القوة من خلال مسح أبرز الأدبيات المعاصرة في حقل العلاقات الدولية، وكذا التعرف على ماهية القوة في نظريات القوة المختلفة (الصلبة، الناعمة، الذكية، والحادة)، ولتحقيق الهدف منها ارتكزت الدراسة إلى المنهج المسحي الذي يتيح للباحث آلية مناسبة تمكنه من التنقيب والتنقل بين المجلدات المتعددة بغية تحقيق الهدف الرئيس المبتغى من دراسته. وتقيداً بموضوع البحث والهدف منه قُسمت الدراسة إلى أربعة فصول وخاتمة، ولقد خلصت الدراسة إلى نتائج عدة، وهي: انتهت الدراسة إلى أن مفهوم القوة الناعمة قد نما وترعرع على يد رموز بارزين –وفي مقدمتهم جوزيف ناي –في الحقبة التي أعقبت نهاية الحرب الباردة مباشرة، كما خلصت الدراسة إلى إجماع جمهور المنظرين في حقل العلاقات الدولية على صعوبة التقدير الكمي المطلق لكافة أبعاد القوة الصلبة؛ إذ لم يتمكنوا بعد من التوصل إلى مستوى تقني يؤهلهم إلى تقدير الجانب التمثلي الضميري الذي تتضمنه عوامل قوة الدولة الملموسة، كما انتهت الدراسة إلى ارتباط مفهوم القوة الحادة بالدول السلطوية الكبرى أو "الأقطاب الفتية من الدول غير الديمقراطية"(لاسيما روسيا والصين) والتي في تطلع دائم إلى تبوء عرش النسق الدولي، وكذا مشاطرة الولايات المتحدة –باعتبارها تمثل قطباً ديمقراطياً–مجالات اهتماماتها ومناطق نفوذها.

الكلمات المفتاحية: التطور المنهجي، القوة، العلاقات الدولية، الأدبيات المعاصرة

ABSTRACT

The central objective of this paper is to discover the fact of power concept by surveying the most prominent contemporary literature in the field of international relations , as well as identifying the nature of power in the various theories of power (hard, soft, smart, and sharp). According to the research topic and aims, the study was divided into four parties and conclusion. The study concluded several results, which are; the concept of the soft power had grown by figures like Joseph Nye after the end of cold war. The study concluded that a lot of theorists recognize the difficulty of the absolute quantitative estimation of all dimensions of hard power. The study also concluded that the concept of sharp power is related to the major authoritarian power or poles of non-democratic countries such as Russia and China

Keywords: The methodological development, power, international relations, contemporary literature

مقدمة

يعد مفهوم القوة من المفاهيم الأساسية في مجال الدراسات الاجتماعية منذ عصر التنوير، ذلك العصر الذي شهد تطورات مفصلية ومذهلة في التأصيل العلمي لهذا المفهوم، والحق أن هذا المفهوم لم يطفُ على سطح التنظير للوهلة الأولى إبان ذلك العصر، بل إن مفهوم القوة يضرب بجذوره في أعماق تاريخ الفكر الإنساني؛ إذ وجد منقوشاً في محاورات أفلاطون، ومسطراً في مصنفات أرسطو، ومدوناً في كتاب الأمير لمكيافيللي، ولقد تلقف هذا المفهوم نفر من جهابذة علم الاجتماع في العالم المعاصر ليجعلوه مادة لبحوثهم وليعكفوا على دراسته في مختبراتهم، ومنذ الحين ويحتل هذا المفهوم مرتبة متقدمة في النقاشات العلمية داخل أروقة المحافل الأكاديمية.

لعل من أبرز المحاولات التأصيلية المعنية بسبر أغوار أبعاد مفهوم القوة في الواقع الاجتماعي تلكم المحاولة التي دشنها الرائد ماكس فيبر Max Weber والتي عرف من خلالها القوة في المجال الاجتماعي على أنها قدرة فرد يحتل موقعاً اجتماعياً ما على إعمال إرادته داخل مجتمعه على الرغم من المقاومة التي قد تواجهه. ولقد تعاقبت محاولات تنظيرية أخرى على محاولة فيبر والتي جمعها – على اختلاف مناقبها ومشاربها – قاسم واحد ألا وهو الكشف عن ماهية القوة الاجتماعية، ولقد أتت محاولة تالكوت بارسونس Talcott Parsons في صدارة هذه المحاولات، التي جد Taloctt من خلالها في التوصل لمفهوم القوة في المجال الاجتماعي، والذي تمثله في قدرة الفاعلين في نسق اجتماعي معين على أداء واجباتهم الاجتماعية الملزمة والمنوط بهم القيام بها والتي من المتعين أن تأتي متسقة مع قيم المجتمع وأهدافه العليا، وفي حال عدم انصياعهم للقواعد العامة يوقع عليهم العقاب.(Weder, 1947, p.152)، (Parsons, 1967, p.208)

ويتصور Boulding القوة في القدرة على تغيير وضع قائم غير مرغوب فيه، وكذا القدرة على مقاومة العوامل الدافعة إلى تغيير وضع قائم يراد الإبقاء عليه. أو هي في أبسط صورها –حسب تصوره– القدرة على تحقيق ما تريد(Boulding 1989, p. 15) ، ولم يذهب Nye بعيداً في تعريفه لمفهوم القوة عن Boulding إذ تمثلها في القدرة على التأثير في الآخرين على النحو الذي يحقق لك ما تصبو إليه (Nye,J.S;2021,p.2)

ولقد استعير مصطلح القوة من علم الاجتماع ونقل إلى حقل العلاقات الدولية على يد أعلام العلاقات الدولية أمثال هانز مورجانثو وممن ساروا على دربه، ولقد شهد مفهوم القوة منذ اسهامات

هذا الرائد الواقعي وحتى الآونة الأخيرة تطوراً جوهرياً في مضمونه وأبعاده لمواكبة التغيرات المتلاحقة التي تطرأ على الواقع الدولي، بدءاً بالقوة الصلبة مروراً بالقوة الناعمة والقوة الذكية وانتهاءً بالقوة الحادة؛ ومن هنا تنبع مشكلة الدراسة.

مشكلة البحث

تتمحور المشكلة البحثية في تساؤل رئيس قوامه: ما أبرز ملامح التطور المنهجي الذي شهده مفهوم القوة في ظل النظريات والإسهامات والاتجاهات المعنية بهذا المفهوم في مجال العلاقات الدولية؟ وكيف عالجت الأدبيات المعاصرة ذات الصلة هذه الملامح المنهجية؟ ويتفرع عن هذا التساؤل عدة تساؤلات تحتية، لعل من أبرزها:

أ- ما أبعاد مفهوم القوة في ظل نظريات القوة الصلبة أو النظريات التقليدية؟

ب- كيف عالجت أدبيات العلاقات الدولية مفهوم القوة الناعمة بعد نهاية حقبة الحرب الباردة؟

ج- ما المقصود بمصطلح القوة الذكية في مجال العلاقات الدولية؟

د- ما أبرز الكتابات الحديثة المعنية بمفهوم القوة الحادة؟، وما الفرق بين القوة الحادة وضروب القوى الأخرى المختلفة في حقل العلاقات الدولية؟

أهداف البحث

تتمثل الأهداف الرئيسية للدراسة في عرض أبرز الاسهامات والنظريات المعنية بتحليل القوة في مجال العلاقات الدولية، وكذا الكشف عن حقيقة مفهوم القوة في نظريات القوة المختلفة (الصلبة والناعمة والذكية والحادة). فصلاً عن التمييز بين أبعاد هذا المفهوم في ظل هذه النظريات؟

منهج البحث

نظراً للتباين بين الباحثين في حقل العلاقات الدولية وعدم قدرتهم على التوصل إلى مفهوم واحد متفق حوله فيما بينهم، فسوف ترتكز الدراسة على المنهج المسحي لسرد كافة الرؤى والاتجاهات المنشغلة بمفهوم القوة منذ بزوغ مفهوم القوة في مجال العلاقات الدولية على يد الرموز البارزين الأوائل وحتى يومنا هذا.

تقسيم الدراسة

لما كان مفهوم القوة غير متفق عليه اصطلاحاً بين جل المنظرين في حقل العلاقات الدولية، فإننا سوف نخصص المبحث الأول من الدراسة لعرض أبرز مفاهيم القوة الصلبة، كما سنفرد المبحث الثاني لعرض الاسهامات العلمية المعنية بمفهوم القوة الناعمة، وسوف نتناول في المبحث الثالث الكتابات المختلفة في دراسة القوة الذكية، كما سيعرض المبحث الرابع والأخير للرؤى المختلفة والكتابات المستجدة في دراسة وتحليل القوة الحادة.

المبحث الأول
القوة الصلبة والمفهوم التقليدي للقوة

بادئ ذي بدء نشير إلى أن مفهوم القوة الصلبة يرتبط بكتابات الاتجاهات الواقعية، وبالتنقيب في مصنفات الواقعيين القدامى أمثال ثوسيديدس ومكيافيللي وتوماس هوبز يتضح جلياً أن القوة عندهم تعد بمثابة المتغير الوسيط الذي يشكل حلقة الوصل بين الطبيعة الشريرة التي تقبع داخل الأنفس البشرية والبيئة الدولية التي يخيم عليها الطابع الصراعي، إذ إن هذه الطبيعة تسوق الأفراد لاسيما حكام الدول إلى استحواذ القوة، وهذا الاستحواذ يحفز هؤلاء الحكام في ظل بيئة تغيب فيها السلطة العليا على حسم الاختلافات في الرؤى وتعارض المصالح بالسبل العنيفة؛ الأمر الذي يجعل من البيئة الدولية بيئة صراعية فوضوية. (وهبان، 2016،ص.ص.1236-1196)

ولقد انطلق مورجانثو في تحليله للواقع السياسي الدولي من فرضية مفادها أن عالم العلاقات الدولية هو عالم الصراع من أجل القوة، وهذا الصراع الذي يسود عالم العلاقات الدولية ينبع من روافد الطبيعة البشرية الشريرة التي توصم بالأنانية والتطلع الدائم إلى استحواذ القوة إلى حد الشهوة (Shimko,Keith,1992,pp.285-286)

واتفق مع موجانثو كار Carr الذي كان يؤمن بأن القلب النابض والميكانزم المحرك للعملية السياسية هو سياسات القوة، ويرى مورجانثو ومن اقتفى أثره من الواقعيين الكلاسيك أن دافع الصراع من أجل القوة نابع من الطبيعة البشرية ذاتها، (Morgenthau, 1954,pp.25-30) (Carr,1964,p.102)، ولم يغرد الواقعي البارز Michael Joseph بعيداً عن سرب التصور المورجانثي والكارلي، إذ راح يؤكد على متلازمة الطبيعة الشريرة/القوة، إذ قال بأن الطبيعة الشريرة

للنفس الإنسانية الماثلة بداخل الأفراد والجماعات تدفعهم إلى التباري في التفوق على الغير في مظاهر القوة والنفوذ، الأمر الذي يزج بهؤلاء الأفراد وهذه الجماعات ومن ورائها البيئة الدولية في غياهب عالم العداء الشامل والصراع الدائم من أجل القوة. ويسلم Butterfield بأنه على الرغم من أن الطبيعة البشرية الشريرة واحدة في البيئتين الداخلية والدولية، غير إنها تجد من الثانية فرصة سانحة لاستخدام ما أوتيت من قوة للتعبير عن أسوأ دوافعها العدوانية حيث لا سلطة عليا في مثل هذه البيئة فوق الدول بمقدورها أن تضبط سلوكها، في حين تكبح جماح هذه الطبيعة وتروض في البيئة الأولى حيث بيئة السلطة وإعمال القانون من خلال الاستخدام المشروع للقوة. (Donnelly, John, 2012, p.10)

وفي الجانب الآخر يؤمن الواقعيون البنيويون(أمثال والتز وغيره) بأن معمارية النسق الدولي أو بأحرى بنيته هي التي تسوق الدول وتدفعها دفعاً نحو استحواذ القوة واللهث بحثاً عن تعظيم قوتها سعياً وراء الحفاظ على بقائها، ومن ثم قد تشكل بنية النسق عاملاً محفزاً أو عاملاً مقيداً في الوقت ذاته للسلوك الخارجي للدول.

وجاء الواقعيان Barnett and Duvall بطرح جديد في الفكر الواقعي مفاده أن الدول لا تمارس نمطاً واحداً من أنماط القوة في فترة زمنية معينة، وإنما تمارس أنماطاً عدة، حصراها في أربعة أنماط، وهي: القوة القسرية، والقوة المؤسسية، والقوة البنيوية، والقوة الخلاقة.

وعلى الرغم من الاختلاف البائن بين الواقعين –على اختلاف تياراتهم –حول مفهوم القوة، إلا أنهم يجمعهم قاسم واحد ألا وهو التصريح بصعوبة قياس قوة الدولة في المجال الدولي، وأفرد غير واحد من المنظرين عدداً من أعمالهم لمعالجة إشكالية تقدير قوة الدولة في المجال الدولي، ويمكن تقسيم هذه الأعمال على ضربين، وهما:

أ- **Elements of the national power approach**: ويركز أنصار هذا الاتجاه على ما تحوذه الدولة من عوامل قوة، وهو تصور الواقعيين الذي يرتكز على الموارد في تعريف قوة الدولة.

ب- **Relational power approach**: وينظر أنصار هذا المدخل إلى القوة باعتبارها عاملاً مؤثراً في علاقة قائمة أو محتملة، وهو تصور جّل الاتجاهات الأخرى غير الواقعية التي تتناول مفهوم القوة في إطار القدرة على التأثير في إرادات الفاعلين الدوليين الأُخر.

المبحث الثاني
القوة الناعمة كإحدى صور القوة غير الإكراهية

على الرغم من أن مفهوم القوة الناعمة ذاع صيته بظهور كتابات المفكر الليبرالي جوزيف ناي، إلا أن هذا المصطلح يضرب بجذوره في كتابات مفكرين عدة في النصف الأول من القرن العشرين، إذ ألمح بعض المفكرين ولو على استحياء إلى هذا المفهوم، حيث صنف كار في دراسة له قدمت عام 1946 القوة في ثلاث صور ، اثنتان منها تقعان ضمن نطاق القوة الصلبة الملموسة، وهما: القوة العسكرية والقوة الاقتصادية، وثالثتهما تقع ضمن نطاق القوة الناعمة وتمثلها في قوة التأثير في الرأي"power over opinion" (Carr,1964,p.102)، ثم ردفه عدد لا يستهان به من المفكرين الذين انشغلوا بأبعاد القوة غير الملموسة وفي مقدمة هؤلاء Steven Lukes، والذي أشار إلى أنه ثمة ثلاثة أوجه للقوة، وهي:

أ- **الوجه الأول:** ويرتكز على تصور روبرت دال القاضي بأن الفاعل الذي يستحوذ على القوة هو من يفوز في المفاوضات ويحسم المناقشات.

ب- **الوجه الثاني:** ويرتكز على تصور Bachrach and Baratz ومفاده أن القوة هي اتخاذ كافة التدابير الاستباقية للحيلولة دون وقوع شيء ما في المستقبل والذي كان من المتوقع أن يضر بمصالح الفاعل.

ج- **الوجه الثالث:** ويتمثل Lukesهذا الوجه في حمل فاعل دولي لأخر على فعل شيء معين أو إقناعه بفعله، بعبارة أخرى القدرة على التأثير في رغبات وتفضيلات الفاعلين الأخرين.

وتجدر الإشارة إلى إنه على الرغم من الجهود التي بذلت من قبل منظرين كثر بشأن أبعاد القوة الناعمة في مجال العلاقات الدولية في مرحلة ما قبل تسعينيات القرن المنصرم، غير إنها كانت محاولات متواضعة متناثرة كسحب متفرقة غير متألفة يُزجى بها في سماء تأصيل القوة في مجال العلاقات الدولية وليس بمقدورها أن تدر ودقاً أو صيباً علمياً نافعاً أو عملاً مؤصلاً متكاملاً، الأمر الذي شجع جوزيف ناي على تقديم تأصيل علمي للقوة الناعمة في بدايات تسعينيات القرن الفائت، حيث تصورها في "قدرتك على التأثير في الآخر على الوجه الذي ترغبه" أو هي "القدرة على التأثير في خيارات وتفضيلات الغير".(Rothman, Steven B., 2011, p.50)

وصرح العلامة البارز **جوزيف ناي** –في مقالة منشورة له في دورية القوة السياسية عام 2021 والمعنونة بتطور مفهوم القوة الناعمة– بأنه استوحى فكرته القوة الناعمة من أمرين: أولها نقطة الالتقاء والتقارب المنهجي بين تيار الواقعيين البنيويين وتيار الليبراليين الجدد(الذي يعتنق ناي فكره) في سبعينيات القرن المنصرم وهي ظاهرة الاعتماد المتبادل وما أتاحته من أهمية نسبية للعوامل الاقتصادية والسبل التعاونية وكافة العوامل غير العنيفة مقارنة بالعوامل العسكرية، أما ثانيهما فتتمثل في إيمان ناي بأن هيمنة الولايات المتحدة على العالم منذ مطلع تسعينيات القرن الفائت لن تتأتي إلا بعوامل الجذب أو الإبهار بالقيم الأمريكية وتصدير النموذج الأمريكي (الأمركة)، إذ في اعتقاده أن الولايات المتحدة لن تسود العالم بالتخويف أو التهديد أو استعمال وسائل الإكراه العنيفة، وإنما بكل سبيل غيرها وهذا ما يمثل عنده جوهر القوة الناعمة(Nye,J.2021,pp.4–5) .

وتجدر الإشارة إلى أن ناي قد تصور قوة الدولة في المجال الدولي كما لو أنها خط متصل ينشطر إلى جزئين: الأول وتمثله في القوة الصلبة"hard power" أو أساليب الإكراه "coercion" وحصرها في القوة العسكرية والعقوبات الاقتصادية، أما الجزء الثاني وتصوره في القوة الناعمة" soft power" أو ما أطلق عليه أساليب التأثير غير الإكراهية "influence" وتمثلها في الترغيب أو الإغراء والسياسات الحكومية وعوامل الجذب.(Nye, 1991, pp.153–171)

وقد تمثلها خط قوة الدولة في الشكل التالي:

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نشير إلى أن ناي يرجح كفة القوة الناعمة على حساب القوة الخشنة (التي لم يرفض دورها بالكلية)، حيث ارتأى أن القوة الناعمة هي الوسيلة الأكثر نجاعة في تحقيق مصالح الدولة في ظل المتغيرات الدولية المعاصرة، ولعل من أبرز هذه المتغيرات: تعدد الفاعلين من غير الدول والذين يسعون في كثير من الأحيان إلى استخدام أساليب غير إكراهية، فضلاً عن التقدم التكنولوجي وما أفرزه من سيولة في تدفق المعلومات؛ الأمر الذي أوقع العالم في شرك

غزارة المعلومات أو ما أطلق عليه ناي اسم 'an informational 'paradox of plenty، ويتمخض عن غزارة المعلومات هذه مجتمعات الاتصال الشبكي تلك المجتمعات التي يغلب على وسائل التواصل فيما الأساليب غير العنيفة.(Nye, J., 2004, pp. 60–76)، وعلى أية حال يرى ناي أن القوة الناعمة تستمد مصادرها من روافد ثلاثة، وهي الثقافة والقيم السياسية والسياسة الحكومية وشرع في إجمالها في التالي:(Nye, J., 2008, p.96)

1- **السياسات الحكومية:** حيث اعتبر أن سياسات الحكومة في دولة ما سواء أكانت تخاطب الداخل أم توجه للعالم الخارجي بمثابة رافد من روافد القوة الناعمة، وهذا الرافد يعد سلاحاً ذا حدين؛ إذ بمقدوره أن يعزز من قوة الدولة القومية وصورتها الخارجية وفي القوت ذاته قد يكون معول هدم لهذا الضرب من القوة.

2- **الثقافة:** وهي عبارة عن كافة التقاليد والأنماط الحياتية والتي بمقدور الدولة أن تستخدمها بغية جذب الأخرين وإبهارهم.

3- **القيم السياسية:** ويقد بها الأفكار التي بمقدور متخذ القرار أن يستخدمها في التأثير على الغير.

ويرى إمام القوة الناعمة ناي أن دور القوة الناعمة في تحقيق مصالح الدولة القومية قد تعاظم في الآونة الأخيرة لا سيما بعدما أن أضحت العلاقات الدولية أكثر تعقيداً وتشابكاً إلى الحد الذي بات معه الواقع الدولي–على حد قوله–يشبه لعبة الشطرنج ثلاثية الأبعاد a tridimensional chess game"، وتمثل أبعادها في(Nye,2004,p.4):

أ- **البعد العسكري:** حيث تعد الولايات المتحدة الأمريكية –وفق ناي–الدولة القطبية الوحيدة في نسق أحادي تحت قيادتها، نظراً لما تستحوذه من قدرات عسكرية فائقة تفوق قدرات أية دولة أخرى على الساحة الدولية.

ب- **البعد الاقتصادي:** ومن الناحية الاقتصادية يرى ناي أننا بصدد نسق دولي متعدد القوى الاقتصادية القطبية.

ج- **بعد القضايا العابرة للحدود:** وهي القضايا التي لا تمس دولة بعينها وإنما تأثيرات تطول العالم أجمع، ومنها: التغيرات المناخية، الإرهاب، الجوائح العالمية...إلخ.

ولقد طور ناي من مفهومه للقوة الناعمة مؤخراً إذ بات ينظر إليها من ثنايا الارتكاز إلى ثلاثة متغيرات، وهي: الفاعل وما يملك"actor who has power، والعلاقة بين أطراف القوة أو

مجال القوة the scope of power، وموضوع القوة"what topics are involved" (Nye,J.S;2021,p.2)، ولقد اعترف ناي في أعماله الأخيرة بإشكالية كبيرة تواجه مفهوم القوة الناعمة وهي الطبيعة الحقيقية للقوة الناعمة، من حيث كونها تقع ضمن نطاق الأعمال الاختيارية التطوعية غير الإكراهية الصرفة أم أنها قد تتضمن أحياناً أبعاداً إكراهية؟ Voluntarism or coercion وإن لم تكن هذه أو تلك، فهل هي مزيج يجمع بينهما؟ وإذا كانت فعلاً كذلك فما هي الحدود الفاصلة بين الجوانب الإكراهية وغير الإكراهية التي تشملها القوة الناعمة؟

إن اللدونة التي تعتري مصطلح القوة الناعمة وكذا تعثر الباحثين في التوصل إلى حد جلي فاصل بين القوة بوجهيها الخشن والناعم قد جلبتا على هذا المصطلح أسهم نقد نفر ليس بالقليل من الباحثين بمن فيهم مروجي هذا المصطلح أنفسهم وفي مقدمتهم ناي(Hocking, 2005)، إذ تختلط في هذا المصطلح الأساليب العنيفة بالسبل غير الإكراهية، فضلاً عن أنه ليس ثمة إجماع لدى الساسة المنشغلين بالأمور الدولية بشأن الأبعاد الثقافية التي هي مكون أصيل من مكونات القوة الناعمة؛ الأمر الذي يجعل من القوة الناعمة نسخاً متعددة خلال فترة زمنية واحدة، وبناءً عليه تتعدد القوى الناعمة بتعدد الثقافات خلال تلك الفترة، على سبيل المثال منذ مطلع القرن الحادي والعشرين والعالم يشهد انتشاراً للقوة الناعمة الصينية والتي هي بطبيعة الحال تنافس القوة الناعمة الأمريكية وتختلف عنها أحياناً في الكم والكيف وطرق التوظيف.(Nye, J.S; 2021, pp.7-11.)

ولقد كانت محاولات ناي بمثابة اللبنة التي بنى عليها كثير من المنظرين المنشغلين بالقوة الناعمة كثيراً من افتراضاتهم وكان ناي بمثابة الملهم لكثير من أفكارهم، وفي هذا المضمار قدم Jonathan McClory عام 2011 نموذجاً طور من خلاله الطروح التي قدمها ناي بشأن القوة الناعمة، حيث حصر ركائز القوة الناعمة للدولة في خمسة أنواع، وهي: القيم السياسية، الثقافة، التعليم، الدبلوماسية، والابتكار.(McClory, J., 2011, p. 10)

وجاء "Lock" بمنهج مغاير لمنهج ناي ولمن حذا حذوه، إذ جاء بمنهج جديد عرف بالمنهج الاستراتيجي الجديد a new 'strategic' approach، ويفترض هذا المنهج أنه يتعين النظر إلى القوة الناعمة للدولة من منظور علاقاتيrelational terms أكثر من كونها مجرد قوة بحوزة فاعل دولي، بعبارة أخرى يعتقدLock" بأن تقدير قوى الدولة الناعمة لابد أن يبنى ليس فقط على ما تمتلكه

الدولة من قدرات ووسائل تأثير غير إكراهية وإنما يستوجب الأخذ في الحسبان نمط العلاقة بين الدول كذلك.(Lock, 2010, pp. 35-44)

وثمة اتجاه يرتكز مؤيدوه-وفي صدارتهمPhilip Seib -على الدبلوماسية العامة الجديدة new public diplomacy باعتبارها تمثل شكلاً من أشكال القوة الناعمة، ويعتقد أنصار هذا الاتجاه أن الارتكاز على عوامل القوة الصلبة وحدها لا يكفي لحسم الصراعات الدولية في العالم المعاصر، على سبيل المثال لم تستطع الولايات المتحدة تحقيق أظهر أهدافها من غزو العراق عام 2003 والتي تجسدت في الإطاحة بنظام صدام حسين وبث الديمقراطية بثوبها الأمريكي، وكذا لم تتمكن من تحقيق مرادها مما وصفته بالحرب على الإرهاب بعد عام 2001 باستخدام الوسائل العسكرية فحسب، وإنما حاولت أن توظف دبلوماسيتها العامة إلى جانب أدواتها العسكرية لتحقيق أهدافها القومية من هذا الغزو وتلكم الحرب.(Philip Seib, 2009, p.viii)

وفي سياق متصل يسلم فريق من الباحثين وفي صدارتهم Melissen بكون الدبلوماسية العامة الجديدة the new public diplomacy صورة من صور القوة الناعمة، وتنطلق الدبلوماسية العامة الجديدة -عنده- من أن الدولة تسعى إلى استخدم وسائل التأثير غير الإكراهية في التأثير ليس على حكومات الدول الأخرى وفقط، وإنما على شعوب الدول الأخرى ومجتمعاتها وكافة الفاعلين من غير الدول حال مؤسسات المجتمع المدني الدولية والشركات متعددة الجنسيات، وتستهدف هذه الدبلوماسية -باعتبارها إحدى صور القوة الناعمة -التأثير في أفكار الشعوب الأخرى وثقافاتهم فضلاً عن التأثير على توجهات الدول الأخرى على النحو الذي يحقق مصالح الدولة (Melissen, 2005,pp.3-19).

وذهبت بعض الدراسات إلى أنه ثمة علاقة طردية بين إقبال الدول على استخدام أنماط القوة الناعمة بصورها الشتى وفعالية الرأي العام، حيث أكد البعض وفي مقدمتهم Mario De Martino أن استخدام الدول لقوتها الناعمة قد يؤتي أكله في ظل دولة ديمقراطية تكنولوجية يشكل الرأي العام داخلها قوة مجتمعية فعالة.

وقدم Rothman نموذجاً فردياً لتفسير القوة الناعمة أو كما يحلو له تسميتها بقوة الجذب"The power of attraction"، إذ عكف في نموذجه هذا على وضع إطار مفاهيمي للقوة الناعمة، ثم أردفه بافتراض بنى عليه نموذجه والذي مفاده: إن القوة الناعمة ترتكز في الأساس على

الموارد المستخدمة في صناعتها. وكذا تصورها كما لو أنها تمثل جزءاً من خط متصل غير منفصل لأنماط القوة بوجهيها (الرخو والصلب). (Rothman, Steven B., 2011, p.50)

ويعقد روثمان أنه من الناحية الواقعية يستعصي على متخذ القرار الفصل الحاد والتام بين القوة بوجهيها الناعم والصلب، إذ أحياناً قد تضطر الدول إلى أن تضفي طابعاً إكراهياً على صورة من صور قوتها الناعمة، كما قد تلجأ إلى أن تغلف ممارستها لإحدى صور قوتها الصلبة بأحد أثواب قوتها الناعمة.

ولقد عبر روثمان عن نموذجه في الشكل التالي:

الفصل	القوة الصلبة		القوة الناعمة	
	الإكراه	الحث الآمر	الأجندات الحكومية	الجذب
الاتصال والاستمرار	⟷			
المصادر	العسكرية	الاقتصادية	المؤسساتية	القدرات الخطابية

ومن الشكل أعلاه يربط روثمان بين نمط القوة أو صورتها ومصدرها (أو الركيزة التي ترتكز إليها)، وذلك على النحو التالي:

1- القدرات العسكرية والإلزامية COMMAND AND MILITARY RESOURCES

ووفق روثمان تعد القوة العسكرية إحدى الركائز التي ترتكز عليها الدولة في ممارسة سلوكها الخارجي، وهي وسيلة لحمل الغير على الامتثال لإرادة الدولة بالسبل العنيفة، وعلى الرغم من أن القدرات العسكرية تقع ضمن نطاق القدرات الصلبة إلا إنه قد تلبسها الدولة أثواباً من السبل غير العنيفة لحث خصومها على عمل معين كأن تتدخل عسكرياً في دولة معينة لتحقيق مصالحها تحت ستار بث قيم أخلاقية أو نشر ثقافة معينة، على سبيل المثال تدخلت الولايات المتحدة في أكثر من دولة –وفي مقدمتها العراق– عسكرياً رافعة شعار "بث الديمقراطية". (Rothman, Steven B., 2011, p.52)

2- القدرات الاقتصادية ECONOMIC FORMS OF POWER

قد تستخدم القدرات الاقتصادية كأداة للترهيب أو وسيلة للترغيب، حيث تفرض الدولة عقوبات اقتصادية على دولة أخرى(بغرض إثنائها عن تصور معين) أو تمنحها حافزاً أو تسهيلات ائتمانية معينة بغية حثها على فعل معين، وهذا ما أطلق عليه روثمان الحث الآمر command inducement".

3- الأجندات السياسية والتحكم المؤسسي AGENDA-SETTING AND INSTITUTIONAL CONTROL

ويؤمن روثمان بأن القواعد التنظيمية والضوابط المؤسسية والأجندات السياسية التي يضعها القادة في فترات حكمهم تمثل مصدراً من مصادر القوة الناعمة أو رافداً من روافدها، حيث أن مثل هذه القواعد والضوابط قد تقوض خيارات متخذي القرار السياسي بشأن اتخاذ قرار بممارسة سلوك ناعم معين أو هي من تشجعه على اتخاذه.

4- القدرات الخطابية RHETORIC

يرى روثمان أن القدرات الخطابية والبلاغة الكلامية قد تمثل عاملاً جاذباً وحافزاً مبهراً للغير، الأمر الذي من شأنه أن يروج لحضارة الدولة ويعزز من نشر قيمها ويسهل من مهمة تعميم نموذجها لا سيما إذا كانت الدولة تحتل مكانة مرموقة على الساحة الدولة.

وللقدرات الخطابية عند روثمان صنفان، وهما: الإطار المعياري normative framing : ويقوم هذا الصنف على إثارة العواطف والمشاعر وشحذ الهمم والمناداة بالفضيلة وذلك بغية توجيه الأفراد لانتهاج سلوك معين، حال الخطب الرنانة المطالبة بمراعاة حقوق الإنسان وانتهاك الحكومات لحقوق الأقليات أما الصنف الثاني أو ما يعرف بالإطار التحليلي analytical framing: ويعنى هذا الصنف قيام الخطيب بافتعال أزمة ويعمل على إيهام المخاطبين بأن خطراً محدقاً يلوح في الأفق، وذلك بهدف توحيد صف المخاطبين لانتهاج سلوك سياسي معين أو بغرض الاستهلاك المحلي أو لصرف أنظار المخاطبين عن أوضاع داخلية غير مواتية للخطيب (Rothman, Steven B.,2011, p.52)

ولقد عرج روثمان في نموذجه هذا على آلية تأثير القوة الناعمة، وتقوم الآلية عنده على مدى قدرة الدول على استخدام أوجه الجذب المختلفة وصور الاقناع المتعددة بغية التأثير في الدول الأخرى لتحقيق مصالحها القومية، ويقر روثمان أن آلية تأثير القوة الناعمة تجابه بتحدٍ كبير ألا وهو اختلاف القيم والثقافات عند الأمم المختلفة، فضلاً تتطلبها أحياناً تكاليف مالية قد تستنزف من موارد الدولة. (Rothman, Steven B., 2011, pp.56-60)

وأرسى Vyas قواعد مدخل أطلق عليه An analogous process-oriented approach، وتقوم آلية هذا المدخل على مدى جدوى التأثيرات التي من الممكن أن يحدثها فاعلون متعددون في مستويات مختلفة، وتتمثل هذه التأثيرات في القيم والأفكار والمعلومات التي يستخدمها الفاعلون في دولة ما للإحداث تغيرات هيكلية في الدول المستهدفة.(Vyas, 2011, p.43) ، ويرى أن هذه التأثيرات تتأثر بمستويات التكنولوجيا المستخدمة، وأنواع المعلومات المتاحة والتباين والتطابق بين الأفكار والقيم في الأطراف الدولية المتفاعلة وكذا قنوات التواصل وطبيعة المؤسسات في الدول المتفاعلة.

يرى Wilson أن مجتمعات ما بعد عصر الصناعة أو مجتمعات المعرفة (المجتمعات التكنولوجية) تعد بيئة خصبة أمام استخدامات القوة الناعمة بضروبها المختلفة، إذ أن السياقات السياسية داخل هذه المجتمعات طالتها التطورات التكنولوجية الأمر الذي أفسح المجال أمام بزوغ أفاق سياسية جديدة لم تكن موجود من ذي قبل، منها: الدبلوماسية الرقمية والأمن السيبراني وأجهزة الذكاء الاصطناعي والأسلحة البيولوجية الذكية...إلخ، ويرى ويلسون أن القوة الناعمة هي الأنسب مع هذه الأفاق والمتغيرات السياسية المتحدثة. (Wilson Ernest J., 2008, p.113)

وجاء كل من Brannagan, Pual, & Giulianotti, بنموذج عرف بنموذج The soft power-soft disempowerment nexus، ويعنى هذا النموذج بدراسة العلاقة بين القوة الناعمة والعوامل التي تحد من تأثيرها في البيئة الدولية، ويرتكز هذا النموذج على ثلاثة مرتكزات، وهي: بنية القوة الناعمة، وصورها ومصادرها، والنتائج المحتملة بعد تفاعلها مع العالم الخارجي، وتقوم آلية عمل هذا النموذج على خطوات عدة، وهي: أن بنية القوة الناعمة في الدولة تتكون من عوامل ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية، وكل عامل من هذه العوامل له مصادره المختلفة، حيث تتمثل مصادر العوامل الثقافية في الفنون والأحداث الرياضية وخطوط الملاحة الجوية والاستثمار في الإعلام

والموسيقى، و تتمثل المصادر الاجتماعية في الإنسانيات من مزايا تعليمية يتيحها النظام التعليمي في الدولة وكذا التمتع بممارسة الحقوق المدنية، كما تنحصر المصادر الاقتصادية –وفق هذا النموذج –في الاستثمار الأجنبي المباشر والمفاوض التجاري والصادرات من السلع والخدمات، وأخيراً وليس أخراً تصور كل من Brannagan, Pual, & Giulianotti المصادر السياسية في العملة السياسية بوجهيها الدبلوماسي والصراعي.

تمر عوامل القوة بصنوفها المختلفة عبر مُنقح وسائل الجذبfilter"Credible attraction" لاختبار مدى مصداقيتها وقدرتها على الجذب، ويتكون هذا المنقح من عناصر عدة، وهي: مؤسسات الدولة التي تعبر عنها والإعلام وقطاع الشركات ومؤسسات المجتمع المدني، وهذه العناصر متضامنة أو فرادي قد تخفق في تحويل عوامل القوة الناعمة بمصادرها إلى عوامل جذب في العالم الخارجي بعبارة أخرى تصبح بمثابة عامل مثبط لقوة الدولة الناعمة في المجال الدولي، وقد تفلح هذه العناصر متضافرة أو كل عنصر منها على حدة في جعل من مصادر عوامل قوة الدولة مصادر جذب وتأثير للدولة في المجال الدولي، وفي هذه الحال ستكون النتائج المحتملة على النحو التالي: على الصعيد الثقافي قد تنجح الدولة في تحقيق شيء من القبول والانتشار الدولي وذلك من خلال انبهار الغير بثقافتها ونمط زعامتها فضلاً عن نجاحها في حصاد أعداد وفيرة من السائحين، أما على الصعيد الاجتماعي ستحظى الدولة بسمعة طيبة في قدرتها على توفير حياة أفضل لمواطنيها، وفيما يتعلق بالصعيد الاقتصادي قد تصبح الدولة نموذجاً رائداً في مجال عمل الشركات، وسيجلب عليها وابلاً من الاستثمارات الأجنبية المباشرة، فضلاً عن أنه سيضحى اقتصاد الدولة ضمن فئة الاقتصادات متعددة الجوانب الإنتاجية، أما على الصعيد السياسي فمن المتوقع أن تتبنى الدولة استراتيجيات شراكة لتحقيق أمن الدولة القومي في البيئة الدولية ويضمن لها الحفاظ على بقائها. (Brannagan, Pual, & Giulianotti, Richard; 2018, pp.1143-1145)

أدناه شكل مبسط لآلية عمل نموذج Richard&Brannagan

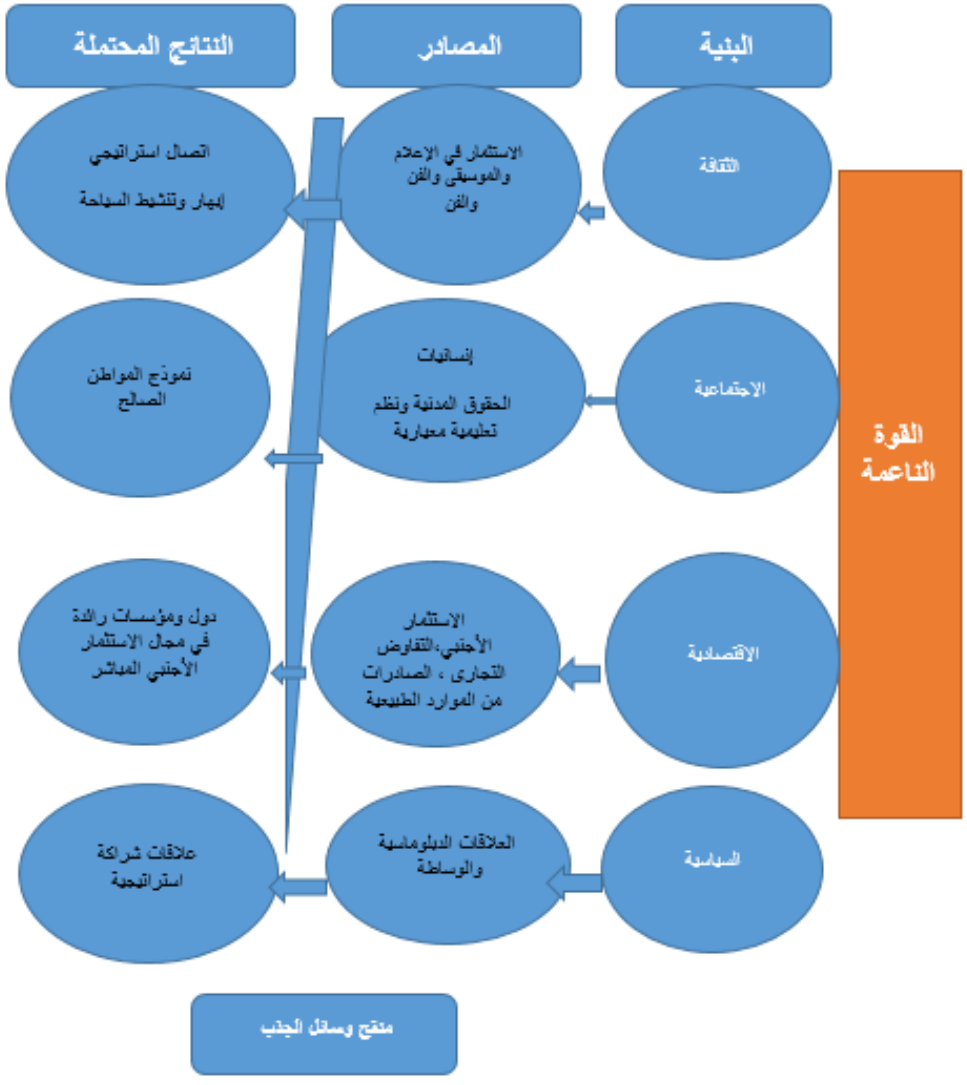

ولقد جد الباحث الروسي Kudryavtsev في التوصل إلى نموذج شامل لأبعاد القوة الناعمة أطلق عليه "A systemic view of the soft power"، ويقوم هذا النموذج على تصور قوامه أن تحليل عوامل قوة الدولة الناعمة تبدأ من الوقوف على ماهية مصطلح القوة الناعمة، ويعتقد أن التوصل إلى جوهر مصطلح القوة الناعمة لا تتم إلا من خلال استخدام جملة من المعايير للتميز بين القوة الناعمة والقوة الصلبة، وتتمثل هذه المعايير في الآتي: (Kudryavtsev, Andrey A.,2014, pp.2-6) –ما المسافة الفاصلة بين القوتين الناعمة والصلبة؟، ما المصادر المختلفة لعوامل قوة

الدولة؟، ما آلية ووظيفة القوة الناعمة، وما دور الفاعلين المختلفين في التأثير على الغير باستخدام الوسائل الناعمة بغية تحقيق أهداف الدولة المنشودة؟، ما الطبيعة الديناميكية للقوة الناعمة، وما تأثير التحول في القيم والأفكار على عوامل قوة الدولة الناعمة؟

ويقطع Kudryavtsev بأنه ستنقشع السحب الحاجبة لكامل عناصر القوة الناعمة وسيزول الضباب الذي يحجب الرؤية الكاملة لقوة الدولة الناعمة متى يجاب على كافة التساؤلات المذكورة أعلاه بجلاء، إذ إنه يؤكد على أن الحدود بين القوتين ليست واضحة بما يكفي عند جل المنظرين والممارسين للعمل السياسي.

المبحث الثالث

القوة الشاملة ومفهوم القوة الذكية SMART POWER

قطع بعض المنظرين وفي مقدمتهم Wergin بعدم إمكانية إحلال القوة الناعمة بالقوة الخشنة، إذ أن القوة الناعمة في اعتقاده ليست سوى أداة من أدوات السياسة الخارجية للدولة، ولا يصبح استعمالها مجدياً وفعالاً إلا إذا امتلكت الدولة عوامل قوة صلبة إلى جانبها. والحق أن حقائق الواقع الدولي المعاصر تفرض على الدول ألا تنحاز للوسائل الصلبة أو الناعمة، وإنما عليها أن تجمع بينهما على النحو الذي يقتضيه الموقف وبما يحقق مصالحها. وتعرف القدرة المهارية على الجمع بين القوتين الناعمة والصلبة بغية التوصل إلى صيغة الاستراتيجيات المتكاملة بالقوة الذكية.

ولا تعرف المصنفات التنظيرية في مجال العلاقات الدولية مفهوماً واحداً متفقاً عليه للقوة الذكية بين جل المنظرين، وعلى الرغم من ذلك شهدت الفترات الأخيرة محاولات مضنية بغية التوصل إلى مفهوم شامل للقوة الذكية، فعلى سبيل المثال يتمثل جوزيف ناي القوة الذكية في مجوعة الاستراتيجيات الذكية التي تتضمن كافة وسائل القوتين الناعمة والصلبة(Joseph S. Nye, 2009pp. 160-164)

ونظراً لكون القوة الذكية تعتمد في تركيبها على القوتين الناعمة والصلبة، إذن ما هي العلاقة بين هذين الوجهين (الناعم والصلب)؟ سعى باحثون كثيرون للإجابة عن هذا التساؤل، على سبيل المثال راح بعضهم ومنهم Niall Ferguson يؤكد على أن القوة الناعمة ليست أكثر من مجرد غطاء أملس لقوة الدولة الخشنة؛ ومن ثم تستمد قوتها من عوامل قوة الدولة الصلبة، وبالتالي فهو

يعتبر أية محاولة للفصل بين وجهي القوة الناعم والخشن مجرد نظرة سطحية ومحاولة واهية لا تمت للواقع بصلة وفي سياق متصل يرى أن القوة الناعمة ما هي إلا إحدى مشتقات القوة الخشنة، كما تمثل في أبسط صورها امتداداً لها. وبناءً عليه فالقوة الناعمة ليست بديلة عن القوة الصلبة، وإنما القوتان تعززان من بعضهما البعض ويستعصي على الباحثين الفصل المطلق بين مفرداتهما (Watanabe Yasushi, McConnell David L. , 2008, P.XVIII-XIX),

ويؤمن المفكر Ernest Wilson-على خلاف تصور ناي-بأن القوة الذكية تقع ضمن نطاق الأدوات لا الاستراتيجيات، ويتصورها في قدرة فاعل دولي ما على المزج بين عوامل القوة بنمطيها الناعم والخشن على النحو الذي يؤهله لإعمال خياراته وتطلعاته بكفاءة وفاعلية. (Ernest J. Wilson, 2008, pp.110-124)

ويشترط Ernest Wilson لفاعلية القوة الذكية الإحاطة التامة لدى الفاعل الدولي بكافة نقاط القوة والضعف لمفردات قدرات الفاعلين الأخرين الناعمة والصلبة، ويقر بأنه من الصعوبة بمكان التوصل إلى مثل هذه الصيغة؛ إذ ليس بوسع كل الفاعلين الدوليين الإلمام بكافة قدرات الفاعلين الأخرين هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لا يوجد إطار مؤسسي معني بالتوصل إلى نسبة المزج المثلى بين القوتين الناعمة والخشنة على النحو الذي يكفل للدولة تحقيق أهدافها في المجال الدولي. ويرى Ernest Wilson أن ظاهرة التحالفات في عالم السياسة المرئي أو في عالم القوة الصلبة واضحة رأي العين، كما أن هذه الظاهرة يشوبها بعض الغموض في ظل التحالفات الناعمة، في حين في ظل عالم القوة الذكية قد يكون العالم في حاجة إلى تحالفات متعددة الأغراض تسع كافة مجالات ومصادر القوتين الناعمة والصلبة. وعلى أية حال يرى ويلسن أن تقدير القوة الذكية أمر يتعذر على الساسة والباحثين على حد سواء بلوغه، ولكنه خطوة جادة صوب الاتجاه الصحيح في تقدير ما أطلق عليه ميزان القوة الصلب/الناعم hard – soft power balance)Ibib,p.p110-124)

افترض Gelb في نموذجه الطبيعة الهرمية للنسق الدولي في القرن الحادي والعشرين، حيث تتربع الولايات المتحدة على قمة هرم النسق الدولي و تسيطر على الساحة الدولية ولا تهيمن عليها هيمنة مطلقة، ويأتي أسفل منها في المستوى الثاني قوى دولية كبرى من على شاكلة روسيا والصين والهند واليابان وألمانيا وفرنسا والمملكة المتحدة، ويرى Gelb أن الولايات المتحدة بحاجة إلى استراتيجية جديدة ليس فقط لتستمر في قيادة العالم، وإنما لتتمكن من حل المشكلات الدولية المشتركة كذلك،

وتقوم هذه الاستراتيجية عنده على التضافر بين عوامل قوة الدولة الصلبة والناعمة. (Leslie H. Gelb, 2009, pp.387-389)

ونبذ جيلب مفهوم نايي وولسن للقوة الذكية، وذهب إلى أن القوة الذكية ليست مجرد المزج بين فكرتين أو مكونين وفقط، وإنما تقوم على التضافر الديناميكيa mechanical combining بينهما كذلك؛ ومن ثم فإن القوة الذكية للدولة ليست مجرد استراتيجية وفقط، ولكنها عبارة عن مجموعة منتخبة ومتألفة من القدرات العسكرية والأساليب الدبلوماسية والعقوبات الاقتصادية ووسائل الترغيب الاقتصادي (Leslie H. Gelb, 2009, p26-40)

ويؤمن تيار من الباحثين وفي مقدمتهم Commack بأن القوة الذكية ليست أكثر من مجرد نسخة مطورة من نسخ القوة الناعمة، وهي أحد اسهامات التيار الواقعي/الليبرالي في مجال تحليل السياسة الخارجي، والذي يؤمن أنصاره بأن قوة الدولة تتضمن التحالفات المعاهداتية والمؤسساتية فضلاً عن القوات العسكرية والدبلوماسية الاقتصادية. (Cammack, Paul, 2018, pp5-18)

وجد الباحث في التوصل إلى نموذج شامل لدراسة القوة الذكية، وراح يعرف من خلال هذا النموذج القوة الذكية على أنها استراتيجية خماسية الأبعاد تتضمن أدوات القوة بشقيها الناعم والصلب وكذا كافة الأهداف التي تبغي الدولة تحقيقها في المجال الدولي. وقد حصر هذه الأبعاد الخمسة في الأبعاد التالية: (Ivanov, Iskren. , 2020, p.58).

- **القوة الخشنة:** تتضمن كافة العقوبات الاقتصادية والضغوط السياسية والاستخدام الفعلي للقوة العسكرية، والغرض النهائي من هذا الضرب من القوة هو إيقاع الهزيمة بالعدو ودحره والنيل من قوته.
- **القوة الناعمة:** وتنطوي على كافة مصادر التأثير غير المرئية، والهدف منها إضعاف الخصم، ومنها الخطاب السياسي والإعلام والقيم.
- **الأهداف الذكية:** ويتعين أن يكون الهدف الذكي واقعياً بمعنى أن تتناسب أهداف الدولة في المجال الخارجي مع قدراتها بشقيها الصلب والناعم.
- **الموارد الذكية:** بمعنى أن استخدام موارد الدولة لابد أن يكون مربحاً.
- **شكل أو هيئة القوة الذكية(smart face):** وهو تصوير قوة الدولة في العالم الخارجي على إنها إكراهية وجذابة في الوقت ذاته.

ويخلط Kudryavtsev بين القوة الذكية والقوة الناعمة، حيث انطلق من مدخل شامل لدراسة القوة الناعمة وفند بنودها في ستة أنواع وهي: القوة الصلبة العسكرية وتمثلها في شن الحروب، والقوة العسكرية الناعمة وتصورها في مجالات التعاون العسكري، والقوة الاقتصادية الصلبة وتمثلها في العقوبات الاقتصادية، والقوة الاقتصادية الناعمة وتمثلها في تصدير نموذجها الاقتصادي للخارج والعمل على استخدام كافة وسائل الجذب لإبهار الغير بهذا النموذج، والقوة الأيديولوجية الصلبة وتصورها في الأساليب والوسائل الدعائية، وأخر هذه القوى القوة الأيديولوجية الناعمة وتمثلها في جذب الغير لقيم جديدة أو مشاركتهم قيمة قائمة. وهذا ما عبر عنه في المصفوفة التالية: (Kudryavtsev, Andrey A.,2014, p.6)

نوع القوة	القوة الصلبة	القوة الناعمة
القوة العسكرية	شن الحروب	التعاون العسكري
القوة الاقتصادية	العقوبات الاقتصادية	إبهار الغير بنموذج الدولة الاقتصادي
القوة الأيديولوجية	الأساليب والوسائل الدعائية والاستعطافية	جذب الغير إلى قيم جديدة، العمل على مشاركته قيم قائمة

ومن العرض السابق لا يفوتنا أن نشير إلى أن القوة الذكية أو الشاملة ليست مجرد بوتقة تنصهر داخلها عناصر القوة بوجهيها الخشن والناعم، ولكنها تتطلب أيضاً العمل معاً كجسد واحد يمارس دوره بكفاءة وفاعلية حتى يتسنى للدولة تحقيق ما تصبو إليه في المجال الدولي، وتشترط كذلك أن تكون لدى الدولة القدرة على تحين الأوقات المناسبة لاستخدامها وكذا المفاضلة بين كافة صورها.

المبحث الرابع

القوة الحادة SHARP POWER

لقد طفا مصطلح القوة الحادة لأول مرة على سطح الأوساط الأكاديمية على يد المفكرين (Christopher Walker and Jessica Ludwig)، في مقال حمل اسم the meaning of sharp power: How Authoritarian states project influence أو "معنى القوة الحادة: مشروع الدول السلطوية في التأثير" –(مع تسليط الضوء على روسيا والصين) –المنشور في دورية

Foreign Affairs عام 2017.، وذلك بإيعاز من واحدة من كبريات المنظمات المعنية بالديمقراطية وهي The organization National Endowment for Democracy (NED)، وعلى أية حال عرف كل من Walker و Ludwing القوة الحادة على أنها القدرة على التأثير في الآخرين أو الخصم على الوجه الذي ترغبه الدولة وبما يتوافق مع مصالحها القومية، وذلك من ثنايا توظيف حزمة من الأدوات السياسية والاقتصادية والإعلامية بغية مناورة ومبارعة واختراق Manipulation أو إرباك أو إلهاء Distraction الخصم وإرهاقه بأحداث غير مجدية لا طائل منها، وكذا العمل على إضعافها من خلال الترويع والسعي بالدسائس والوقيعة بين القوى الوطنية المؤثرة في الدولة الخصم والضغط عليها من أجل تحقيق مصالحها. (Walker, Christopher & Ludwig, Jessica, 2017,pp.4-6.، انظر أيضاً (الرشدان وأحمد،2021،ص.ص.696-734)

وبتمحيص مفهوم القوة الحادة كما ورد في كتابات Walker و Ludwing يتضح جلياً أن هذا المفهوم صك خصيصاً لسبر أغوار الممارسات الصينية الروسية الموجهة ضد أقاليم الدول الديمقراطية (وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية) والتي الغرض منها تغيير صورة توزيع القوة في النسق الدولي من ثنايا التغلغل في شئون الدول الغربية الديمقراطية لتهديد استقرارها وإضعاف جبهتها الداخلية.

وسميت القوة الحادة بهذا الاسم نظراً لقدرتها الثاقبة على اختراق Penetrate الأنظمة الأمنية للخصم والتغلغل داخله Pierce والتسلل داخل أبنيته السياسية والاقتصادية والإعلامية، وتستهدف تشرذم طوائف المجتمع وتمزيق نسيجه الاجتماعي، وبث قيم دخيلة ونشر أخبار كاذبة، وإرساء مبدأ الانشقاقات والانقسامات والتصدعات بين القوى السياسية المشكلة للبنية السياسية للدولة المستهدفة. وهذه الشيم جعلت من القوة الحادة ضرباً مختلفاً عن ضروب القوة الناعمة التي ترتكز في جوهرها على الاقناع والجذب (Ibid).

يرى ناي أن ثمة خيطاً رفيعاً يفصل بين القوتين الناعمة والحادة، وتصور هذا الخيط في الهدف ومدى القدرة على التوظيف لمصادر القوة الناعمة، ففي مجال الإعلام على سبيل المثال إذا قامت كل من وكالة الأنباء الصينية الرسمية "شينخوا" وقناة روسيا اليوم ببث أخبار علنية في الدول المستهدفة فهذا يقع ضمن نطاق القوة الناعمة، أما إذا استخدمت الصين على سبيل المثال إذاعتها

المعروفة بإذاعة الصين الدولية للعمل بطريقة سرية لاختراق ونشر أخبار كاذبة في الدول المستهدفة فهذا يقع في صميم عمل القوة الحادة(Nye, 2018).

ويسلم جوزيف ناي بأن الدول السلطوية حال روسيا والصين تجد في الفترات الأخيرة في استخدام هذا النوع من القوة، على سبيل المثال حاولت الصين توظيف بث الأخبار والمعلومات الكاذبة، وكذا إحداث الوقيعة بين القوى المجتمعية في المجتمعين الاسترالي والنيوزيلندي بغية تحقيق مصالحها.(Nye, 2018). وفي سياق متصل يؤكد Cardenal أن الصين قامت بتدريب صحافيين من دول أمريكا اللاتينية لدعم سياسات الحكومة الصينية واستراتيجياتها وأيديولوجياتها ومصالحها القومية في دول أمريكا اللاتينية وكذا اقناع وإبهار الصفوة في دول أمريكا اللاتينية بالنموذج الصيني كمدخل تمهيدي a pro-government approach للتغلغل الصيني في الحديقة الخلفية للولايات المتحدة الأمريكية.(Cardenal 2017 pp. 30-33)

وعلى أية حال انتهى ناي إلى أربعة أنماط لقوة الدولة، وتمثلها على النحو التالي: (Nay,2004,pp.32-147)

أنماط القوة المختلفة	تحويلات القوة	الأنشطة والسلوكيات	السياسات الحكومية
القوة العسكرية	التهديدات، الاستعمال الفعلي للقوة	الإكراه والإجبار والإثناء	الدبلوماسية الإكراهية، الحرب، التحالف
القوة الاقتصادية	العقوبات، المدفوعات	الحوافز الاقتصادية والحواجز الجمركية	المساعدات الخارجية، العقوبات الاقتصادية، الرشاوى.
القوة الناعمة	القيم، الثقافة	الجذب، الأجندات الحكومية	الدبلوماسية العامة، والدبلوماسية الثنائية ومتعددة الأطراف
القوة الحادة	الأساليب التكنولوجية، البنية التحتية الاقتصادية/الاجتماعية.	الرقابة والتتبع، الدعاية، أدوات التحكم والتأثير	التأثيرات الخارجية المباشرة

وسار Lenova على نهج ناي واتبع خطاه حيث اعتبر أن أوجه التمايز بين القوتين الناعمة والحادة تكمن في الهدف؛ إذ يتمثل الهدف من الأولى في تحسين صورة الدولة في المجتمعات

المنشودة، في حين تستهدف الأخيرة اختراق العملية السياسية داخل الدولة المقصودة وتهديد أمنها وزعزعة استقرارها (Leonova, Olga G. , 2019, p.23)

وجاء Cooper بطرح مغاير للمنظور الذي أورده Lenova في مقالته المعنونة بمفهوم القوة الحادة في العلاقات الدولية: دراسة نقدية The New Concept of "Sharp Power" in International Politics: A Critique، المنشورة في عام2018، إذ حاول تعريف القوة الحادة من خلال عنصر الاختلاف بينها وبين كل من القوتين الناعمة والخشنة، فهو يرى أنه يرتكز جوهر القوة الناعمة على عنصر الجذب والذي يأتي نتيجة جملة من الموارد منها: ثقافة الدولة ومظاهر حضارتها وسلوكها السياسي، وتأتي هذه الموارد انعكاساً إلى مجتمعات مدنية حيوية ومستقلة، في المقابل تقبع طبيعة القوة الصلبة في عنصر الإكراه الذي ما كان أن يتأتى للدولة لولا امتلاكها قدرات عسكرية واقتصادية تؤهلها لممارسة هذا الطابع الإكراهي، في حين ترتكز القوة الحادة على توظيف الدول السلطوية الحيل والخديعة وقمع المعارضة والتضييق على الحريات في الداخل ليس فقط في الداخل، ولكن محاولة نشر هذه الممارسات في الخارج أيضاً، واعتبر أن الصين وروسيا دولتان رائدتان في هذا المجال.(Copper, John F. 2018)

ويميز Shao بين القوة الصلبة والقوة الحادة، فهو يرى على الرغم من ارتكاز القوتين الصلبة والحادة على مقوم الإكراه، بيد إن هذا المقوم يختلف في شكله ومضمونه في ضربي القوة المذكورين، فالإكراه ينجم في إطار القوة الصلبة من جراء استخدام الدولة لقوتها العسكرية والعقوبات الاقتصادية وهي قوى مادية منظورة، في حين يتمحور عنصر الإكراه في إطار القوة الحادة حول كيفية التغلغل والاختراق وإضعاف الجبهة الداخلية للدولة الخصم ويتسم عنصر الإكراه هنا بالطابع السري، ومن ثم تصنف القوة الحادة ضمن فئة القوى غير الملموسة(Shao, 2019, p. 132) .

ويسلم Hur بأن القول الفصل والمعيار الحاكم في مسألة التمييز بين القوتين الناعمة والصلبة من ناحية والقوة الحادة من ناحية أخرى هو مصدر التأثير، حيث ينطلق مصدر تأثير القوتين الصلبة والناعمة من الخارج (سواء أكان عن طريق الإكراه في حال القوة الخشنة أو الجذب في حال القوة الناعمة)، أما في حال القوة الحادة ينطلق مصدر التأثير من الداخل لاستهداف الداخل وذلك من خلال التسلل والتغلغل داخل أقاليم الدولة المستهدفة وممارسة أعمال سرية من شأنها أن تهدد أمنها القومي.(Hur, 2019, p. 184)

ويعتقد غير واحد من المعنيين بالقوة الحادة–وفي مقدمتهم Vuurenو Brazzoli و Damjanoniv – أن حرب المعلومات تعد المرتكز الذي ترتكز عليه القوة الحادة، حيث تقوم حرب المعلومات على اتخاذ جملة من التدابير المعلوماتية التي الغرض منها إرباك منظومة المعلومات الأساسية في الدولة الخصم أو أي نظام فرعي لإحدى مؤسساتها على النحو الذي يهدد أمنها المعلوماتي أو يفتك بقنوات اتصالها الشبكي لإضعاف جبهتها الداخلية ولنثر بذور الفرقة الداخلية والنيل من تماسك تلك الدولة، وهذا ما تصبو إليه الأهداف المبتغاة من القوة الحادة (Van,V.,2018, p.80)

ويتجسد الدور المحوري الذي بمقدور المعلومات أن تلعبه في مجال القوة الحادة في نشر الأكاذيب والفتن بغرض تضليل جمهور الدولة المستهدفة، وكذا التأثير في القرارات من خلال مدى إتاحية المعلومات، وتسهيل الهجوم على الشبكات المحوسبة، وقدرتها على خوض غمار حروب إلكترونية وتدمير البنية التحتية الإلكترونية، وتشكيل نوع وحجم ووظيفة الحرب الإلكترونية، فضلاً عن التأثير في العمليات النفسية (Damjanovic, 2017, p. 1045)

وعلى أية حال تأتي القوة الحادة أكلها متى استخدمت أدوات اختراقية(سواء أكانت تحمل صبغة سياسية أم اقتصادية أم إعلامية أم اجتماعية أم استخباراتية وتبتعد كل البعد عن استخدام القوة النارية أو القوة العسكرية) وذلك في إشاعة أخبار كاذبة ومزيفة وتضليل متخذي القرار وكذا الجمهور في الدول المستهدفة(Rosenberg and Garnaut, 2018)، والكيانات الاجتماعية والمؤسسات السياسية داخلها، وتتأثر هذه الأخيرة بما يسمى بالشبكات السياسية، وتشير هذه الشبكات إلى كافة الروابط العلنية والسرية التي تربط بين المؤسستين السياسيتين الرسمية(التشريعية و التنفيذية) وبين المؤسسات السياسية غير الرسمية، ولا ريب أن هذه الشبكات السياسية تتأثر بما يستهدفها من صور القوة الحادة المختلفة (Nestoras, 2018, p. 4418)

الخاتمة

استهدفت الدراسة الكشف عن حقيقة مفهوم القوة في ظل الاتجاهات الأربعة المعنية بتحليل القوة (وهي الاتجاه المؤيد للقوة الصلبة والاتجاه المدافع عن القوة الناعمة والاتجاه الداعم للقوة الذكية وأخيراً الاتجاه المعني بتحليل القوة الحادة)، وذلك من خلال الارتكاز إلى المنهج المسحي بهدف التنقيب في الدراسات المعنية بتحليل مفهوم القوة بغية التوصل إلى حقيقة هذا المفهوم في مجال العلاقات الدولية. ولقد خلصت الدراسة إلى نتائج عدة، لعل من أظهرها:

أولاً: ثمة من يخلط بين القوة الناعمة والقوة الحادة، إذ يعتبرون أن الأخيرة لا تخرج عن كونها صورة من صور الأولى لا سيما أنه ليس ثمة اتفاق بين المنظرين في مجال العلاقات الدولية بعد نهاية حقبة الحرب الباردة حول مفهوم القوة الناعمة وأبعادها.

ثانياً: يشير غير واحد من المنظرين إلى أنه على الرغم من الإسهامات التي قدمت للوقوف على ماهية القوة الحادة والتي لا يستطيع أن ينكرها الداني والقاصي، غير إنه مازال يعتري هذا المفهوم الغموض وتخيم عليه الضبابية، ومن ثم فهو في حاجة إلى مزيد من البحث والتدقيق، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تصنف الكتابات المعنية بهذا المفهوم ضمن فئة الكتابات المتحيزة نظراً لكونها أعدت خصيصاً لمواجهة القوى الدولية غير الديمقراطية الصاعدة والقطبين الفتيين(الصين وروسيا) ودورهما في تهديد القوى الديمقراطية الغربية وفي مقدمتها الولايات الأمريكية.

ثالثاً: انتهت الدراسة إلى أنه ثمة شبه اتفاق بين المنشغلين بالتنظير في مجال العلاقات الدولية حول صعوبة التوصل إلى قياس كمي دقيق لعوامل قوة الدولة الصلبة، غير إنهم ينقسمون على أنفسهم بشأن كيفية تقدير هذه القوة؛ إذ راح فريق منهم يرتكز على العوامل المادية التي تحوذها الدولة، في حين ذهب الفريق الآخر إلى الارتكاز على الجوانب العلاقية والعوامل التأثيرية في العلاقة بين الأطراف الدولية المتفاعلة لتقدير قوة الدولة.

رابعاً: خصلت الدراسة إلى أن مفهوم القوة الناعمة ذاع صيته بعد فترة انتهاء الحرب الباردة مباشرة، حيث كانت أحادية النسق الدولي بقيادة الولايات المتحدة تربة خصبة لنمو عوامل قوة الدولة الناعمة لما كانت تتيحه من نشر للثقافة الغربية والنموذج السياسي الأمريكي ولما ساهمت به في تصدير النمط الاقتصادي الرأسمالي، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كانت القوة الناعمة وسيلة ناجعة لتحقيق المصالح القومية الأمريكية باستخدام أدوات غير إكراهية في ظل الهيمنة العسكرية الأمريكية وقتذاك.

خامساً: انتهت الدراسة إلى إنه يستخدم مصطلح القوة الذكية للدلالة على الجمع بين وجهي القوة(الناعم والخشن)، حيث تعبر في أبسط مضامينها عن القدرة المهارية على الجمع بين القوتين الناعمة والصلبة بغية التوصل إلى صيغة متكاملة ومبتكرة من شأنها أن تحقق مصالح الدولة القومية. والحق أن الظروف الدولية في الآونة الأخيرة تسوق الدول إلى الارتكاز على هذا النمط من القوة؛ إذ لا مجال في عصر التحول الرقمي أن تنحاز الدول لكفة الوسائل الصلبة على حساب كفة الوسائل الناعمة أو العكس.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع باللغة العربية

1. –أحمد وهبان(2016)، الواقعيون وتحليل العلاقات الدولية من مورجانثو إلى ميرشايمر: دراسة تحليلية للنظرية الواقعية عبر ستة عقود، مجلة الحقوق للبحوث القانونية الاقتصادية، العدد 1، ص.ص1236–1196.
2. –عبدالفتاح الرشدان وهوشنك أحمد(2021)، نظرية القوة الحادة في العلاقات الدولية وتوظيفها في السلوك السياسي الخارجي للدولة، مجلة قهلاى زانست العلمية، المجلد6،العدد1، ص.ص696–734.

ثانياً: المراجع باللغة الإنجليزية

A-BOOKS

1. Donnelly, John (2012), Introduction, in George F. Kennan(ed.), American Diplomacy(Chicago: University of Chicago press)
2. Hocking, in: Melissen, Jan.(ed.) (2005), The New Public Diplomacy: Soft Power in International Relations. (New York: Palgrave Macmillan).
3. Leslie H. Gelb, Power Rules(2009), How Common Sense can Rescue American Foreign Policy. Anderson Court Reporting (Washington D.C.: The Brookings Institution)
4. Lock E. (2010). Soft power and strategy. Development a 'strategic' concept of power. In: Soft power and US foreign policy: Theoretical, historical and contemporary perspectives. Ed. by I. Parmar and M. Cox. (London: Routledge).
5. Lukes, S. (1974), Power: A Radical View, second ed. (London: Palgrave Macmillan).
6. Melissen, in: Melissen, Jan.(ed.) (2005) The New Public Diplomacy: Soft Power in International Relations (New York: Palgrave Macmillan)
7. Parsons, T., (1967), On the Concept of Political Power, in T. Parsons (ed.), Sociological Theory and Modern Society (New York: The Free Press)
8. Seib Philip (2009), toward a new public diplomacy: Redirecting US foreign policy (New York: Springer).
9. Vyas U. (2011). Soft power in Japan – China relations: State, sub-state and non-state relations, (London: Routledge).
10. Watanabe Yasushi, Mcconnell David L. (eds) (2008), Soft power superpowers: Cultural and national assets of Japan and the United States, ME Sharpe(New York: Armonk)
11. Weber, M., (1947), the Theory of Social and Economic Organization, Trans. By A. M. Henderson and T. Parsons, (Glencoe: The Free Press).

B-PERIODICALS

1. Barnett, M. and Duvall, R. (2005) "Power in International Politics. International Organization, Vol.59, No.1
2. Brannagan, Pual, & Giulianotti, Richard(2018), The soft power–soft disempowerment nexus: the case of Qatar, International Affairs 94: (5),pp.1139–1157
3. Cammack, Paul (2018)"Smart Power and US Leadership: A Critique of Joseph Nye," 49th Parallel. An Interdisciplinary Journal of North American Studies 22, no. 1 (Autumn 2018), pp. 5-18.
4. Copper, John F. (2018). The New Concept Sharp Power in International Politics: A Critique, IPP Review, Feb. 15, Available at: https://ippreview.com/index.php/Blog/single/id/652.html

5. Damjanovic, Dragan Z. (2017). Types of Information Warfare and Examples of Malicious Programs of Information Warfare, Military Technical Courier, Vol 65 (4).
6. Ernest J. Wilson (2008), "Hard Power, Soft Power, Smart Power," The ANNALS of the American Academy of Political and Social Science 616, no. 1 .
7. Hur, Aram (2019), North Korea's Sharp Power and the Divide Over Korean Identities, Joint U.S.-Korea Academic Studies, Vol 30, pp. 182-198.
8. Ivanov, Iskren(2020), "Reshaping U.S. Smart Power: Towards a Post-Pandemic Security Architecture." Journal of Strategic Security 13, no. 3, pp. 46-74.
9. Leslie H. Gelb (2009), "The World Still Needs a Leader," Current History 108, no. 721 ,September.
10. Nye, J. (1990) Soft Power. Foreign Policy. 80 (Autumn), pp. 153–171.
11. Nye, J.(2002), 'The information revolution and American soft power', Asia Pacific Review 9: 1, pp. 60–76
12. Nye S, Soft power(2004), The means to success in world politics, Public Affairs, New York.
13. Nye, J. S. Jr., (2008), Public Diplomacy and Soft Power. The ANNALS of the American Academy of Political and Social Science, 616(94)
14. Nye, Joseph S.(2009); "Get Smart: Combining Hard and Soft Power," Foreign Affairs Vol.88, no. 4 .
15. Nye, J.S(Feb.2021), Soft power: the evolution of a concept, JOURNAL OF POLITICAL POWER.
16. Rothman, Steven B.(2011), Revising the soft power concept: what are the means and mechanisms of soft power?, Journal of Political Power Vol. 4, No. 1,pp. 49–64.
17. Shao, Jingkai (2019), Exploring China's Sharp Power: Conceptual Deficiencies and Alternatives, Trans communication, Vol 6-2, pp. 129-148.
18. Shimko, Keith (1992), Realism ,Neorealism, And American Liberalism, The Review of Politics ,Vol.54. No.2.
19. Van Vuuren, Rianne (2018). Information Warfare as Future Weapon of Mass-disruption, Africa 2030s Scenarios, Journal of Futures Studies, Vol 23 (1), pp. 77-94.
20. Walker, Christopher & Ludwig, Jessica (Nov.2017). The Meaning of Sharp Power, How Authoritarian States Project Influence, Foreign Affairs.
21. Wilson Ernest J. ; Hard power, soft power, smart power. "The Annals of the American Academy of Political and Social Science", vol. 616, no. 1.2008.

C-REPORTS, PAPERS, AND CONFERENCES NOTES

1. Cardenal, J. P. (2017). China in Latin America. Understanding the Inventory of Influence. In NED. SHARP POWER. Rising Authoritarian Influence. pp. 26-37, Available at: https://www.ned.org/sharp-power-rising-authoritarian-influence-forum-report.
2. Kudryavtsev, Andrey A.; A systemic view of the soft power, European University Institute, Robert Schuman Centre for Advanced Studies, EUI Working Paper RSCAS 2014/16.
3. McClory, J., 2011. The New Persuaders II. A 2011 Global Ranking of Soft Power. Institute for Government.
4. Nestoras, Antonios (2018). Political Warfare: Competition in the Cyber Era, 2018 IEEE International Conference on Big Data, Seattle, WA, USA, pp. 4427-4436. Availableat:https://www.researchgate.net/publication/330629288_Political_Warfare_Competition_in_the_Cyber_Era
5. Nye, Joseph S., Jr. (2018). China's Soft and Sharp Power, Project Syndicate, Jan 4, 2018. Available at: https://www.project-syndicate.org/commentary/china-soft-andsharp-power-by-joseph-s--nye-2018-01?barrier=accesspaylog